

٦٠ - سبق السيفُ العذَلُ*

كان للنعمان بن ثواب العبدي بنون ثلاثة : سعد وسعيد وساعِدَة ، وكان ذا شرف وحكمة ، يوصى بنيه ، ويحملهم على أدبه .
أما ابنه سعد فكان شجاعاً بطلاً من شياطين العرب ، لم تفتنه طليبتُه قط ، ولم يفرّ عن قرْن .

وأما سعيد فكان يُشبهه أباه في شرفه وسُورده .

وأما ساعِدَة فكان صاحبَ شرابٍ وندامى^(١) وإخوان .

فلما رأى الشيخُ حالَ بنيه دعا سعداً - وكان صاحب حرب - فقال : يا بُنَيَّ ، إن الصارمَ بنبو ، والجوادَ يكبو ، والأثرَ يعفو ، فإذا شهدتَ حرباً ، فرأيتَ نارها تستعر ، وبطلها يخطر ، وبجرها يزخر ، وضعيفها يُنصر ، وجبانها يحسر ، فأقلل المكثَ والانتظار ، فإن القرارَ غيرُ عارٍ إذا لم تكن طالبَ ثار ، وإياك أن تكون صيدَ رماحها ، ونطيحَ نطاحها .

وقال لابنه سعيد - وكان جواداً : يا بُنَيَّ ؛ لا يبخل الجواد ، فابذل الطارفَ والتلاد^(٢) ، وأقلل التلاح^(٣) ، تُذْكر عند السماع ، وابلُ إخوانك ، فإنّ وفيهم قليل ، واصنع المعروفَ عند مُحْتَمِلِه .

* الأمثال : ١ - ٦٤

(١) جمع ندمان ، وهو النديم الذي يرافقك ويشاركك . (٢) الطارف من المال : المستحدث وهو ضد التلاد . (٣) التلاحى : التثام .

وقال لابنه ساعدة - وكان صاحب شراب : يا بُنيّ ، إن كثرة الشراب تفسدُ القلب ، وتقللُ الكسبَ ؛ فأبصر نديمك ، واحم حريمك ، وأعين غريمك ، واعلم أن الظمأ القامح^(١) خيرٌ من الرئي القاضح ، وعليك بالقصد فإن فيه بلاغاً .

ثم إن أباهم النعمان بن ثواب توفى ، فقال ابنه سعيدٌ - وكان جواداً سيّداً :
لأخذنّ بوصية أبي ، ولأبؤنّ إخواني وثقاتي .

فعمد إلى كئيب فذبحه ، ثم وضعه في ناحية من خيائه وغشاه ثوباً ، ثم دعا بعض ثقاته ، فقال : يا فلان ، إن أخاك منّ وفي لك بمهده ، وحاطك برفده ، ونصرك بوّده . قال : صدقت ! فهل حدث أمر ؟ قال : نعم ! إني قتلتُ فلاناً - وهو الذي تراه في ناحية الجباء - ولا بدّ من التعاون عليه ، حتى يُوارى !
فما عندك ؟

قال : يا لها سوءة وقعت فيها ! قال : فإني أريدُ أن تُعينني عليه حتى أُغيبه !
قال : لست لك في هذا بصاحب ! وتركه وخرج . فبعث إلى آخر من ثقاته ، فأخبره بذلك ، وسأله معوته ، فردّ عليه مثل ذلك ! حتى بعث إلى عدد منهم ، كُلُّهم يرُدُّ عليه مثل جواب الأول .

ثم بعث إلى رجلٍ من إخوانه يقال له خزيم بن نوفل ، فلما أتاه ، قال له :
يا خزيم ، مالي عندك ؟ قال : ما يسرُّك ، وما ذاك ؟ قال : إني قتلتُ فلاناً ، وهو

(١) الظمأ القامح : الشديد . والمعنى : العيش الشاق خير من رى يفضح صاحبه (اللسان ، مادة قح) .

الذى نراه مُسَجَّى ! قال : أيسرُ خطب ! فتريدُ ماذا ؟ قال : أريدُ أن تُعيني حتى
أغيبه ! قال : هانَ ما فزعتَ فيه إلى أخيك !

وكان غلامٌ لسعيد قائماً بينهما ، فقال خزيم : هل اطَّلَع على هذا الأمر
أحدٌ غير غلامك هذا ؟ قال : لا ! قال : انظر ما تقول ! قال : ما قلت
إلا حقاً . فأهوى خزيم إلى غلامه ، فضربه بالسيف قتله ، وقال : ليس عبدٌ
بأخ^(١) لك .

فارتاع سعيد ، وفزع لقتل غلامه ، وقال : ويحك ! ما صنعت ! وجعل يلومه .
فقال خزيم : إن أخاك من وأبائك^(١) !

قال سعيد : فإني أردتُ تجربتك ! ثم كشفَ له عن الكبش ، وخبره بما
لقى من إخوانه وثقاته ، وما ردّوا به عليه . فقال خزيم : سبق^(٢) السيفُ
العذل^(٣) !

(١) ذهب أمثالا . (٢) العذل : اللوم ، ويضرب لما قد فات .